النقد الأدبي في العصر الأموي

وُصفت دولة بني أمية بأنها " عربية أعرابية"، فيكون ازدهار الشعر والنقد في ظلالها أمرا طبيعيا، لأن الشعر ديوان العرب وعلمهم وفنّهم، وقد نما النقد الأدبي في العصر الأموي و ازدهر في بيئات ثلاث هي: الحجاز و العراق و الشام، وتلوّن في كل بيئة بلون الحياة و الظروف الاجتماعية و السياسية التي أحاطت بكل بيئة، لأن الأدب انعكاس للواقع، وباختلاف ظروف كل بيئة اختلف الشعر فأدّى ذلك إلى اختلاف النقد بين هذه البيئات.

1_ مدرسة الحجاز:

وهي مدرسة الغزل وكان النقد فيها مطبوعا بطابع الذوق الفني و الرقة، و الروح الإنسانية، تبعا لأدب هذه البيئة الذي شاع فيه ما شاع فيها من رقة وخفة و تذوق رفيع للجمال و أساليب القول، فقد نشأ في الحجاز أدب رقيق، فيه دعابة، وفيه وصف للنساء صريح، وفيه قصص لأحداث الشعراء مع النساء....هذا الأدب استتبع رقيا في النقد يدل على رقي في الذوق، والنقد في هذه المدرسة غالبا ما اتّجه إلى المعاني التي وعاها النص، والتي كان الناقد يعرضها على ذوقه الحضري، فيستحسن منها ما رآه مناسبا لعاطفة الحب و لفن الغزل، وسمّي نقد هذه المدرسة بنقد الذواقين، والمراد بالذواقين جماعة النقاد الذين اشتهروا بتذوق الشعر و تدارسه و تقويمه و إبداء الرأي فيه وإن لم ينظموه و يتفرغوا له.

توفر في الحجاز جوّ مترف هادئ استمال الناس نحو الأخذ بمتع الحياة و أسباب اللهو كالغناء و الموسيقى مما طبع الحياة هناك بطابع يندر وجوده في البيئات الأخرى، وعكس الشعراء في شعرهم هذا الجو حيث مالوا إلى شعر الغزل الذي رسموا فيه صورا عن واقع الحياة في بيئتهم، وامتدّ ذلك إلى النقد فاهتم النقاد بهذا اللون من الشعر يحلّلون و يبحثون ما فيه من مظاهر الضعف أو القوة و الجمال، ومن أبرز نقاد هذه المدرسة ابن أبي عتيق الذي ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، و السيدة سكينة بنت الحسين.

أ_ ابن أبي عتيق:

كان عبد الله بن أبي عتيق ناقد الحجاز الكبير في النصف الثاني من القرن الهجري الأول، وكان شديد الولع بالغزل جملة غزل عمر بن أبي ربيعة على نحو مخصوص و يقول: " لشعر ابن أبي ربيعة نوطة في القلب وعلوق بالنفس، ودرك للحاجة، ليس لشعر غيره، وما عُصيَ الله جلّ ذكره بشعر أكثر مما عصي بشعر عمرو بن أبي ربيعة فخذ عني ما أصف

لك: أشعر الناس من دقّ معناه، ولطف مدخله، وسهل مخرجه، ومتن حشوه، و تعطّفت حواشيه، وأنارت معانيه، و أعرب عن حاجته".

وبهذا يكون قول ابن أبي عتيق قد شمل العمل الفني من جوانبه حيث ألمح إلى الجانب النفسي في شقه الأول، وأدرك الجانب الحيوي للعمل في شقه الثاني، ويستخلص منه أهم الأصول النقدية التي ينبغي مراعاتها في صناعة الشعر و نقده و التي يمكن إجمالها في:

_ أثر الشعر في النفوس وتأثيره في القلوب وعلوقه بها.

_ الشعر الجيد ما أثر في نفوس سامعيه حتى يحسّوا بما أحسّ به صاحبه.

_ الشاعر المجيد هو من ينقل مشاعره إلى غيره نقلا أمينا عن طريق افتنانه في تصوير عواطفه و تفنّنه في ايداع تجربته.

_ مخالفة شعر ابن أبي ربيعة لمبادئ الدين والخلق لم تقلّل من جماله الفني باعتباره شعرا اجتمعت فيه خصائص الشعر الجيد _ فيما رآه.

_ أبان الناقد في الجزء الأخير من النص عن المقاييس الفنية التي يحتكم إليها عند المفاضلة بين الشعراء، فالرؤية النقدية للشعر عند ابن أبي عتيق فن مبعثه ومنبته الذوق و غايته التكيف مع العمل الفني و إدراك معطياته الحضارية و الجمالية.

ب_ سكينة بنت الحسين:

تدور معظم الأحكام النقدية للسيدة سكينة حول غرض الغزل، ولمّا كانت المرأة أدرى بأخلاق النساء، وكان الغزل في أصل نشأته تألفا للنساء واستجلابا لمودّتهن، كان نقد السيدة سكينة من قبيل التقد المؤسَّس على خبرة بالمرأة و بعالمها النفسي.

2_ مدرسة الشام:

وهي مدرسة المدح، وحوله قامت حركة نقدية في قصور الخلفاء و أنديتهم، والنقد هنا كما في الحجاز يعتمد على الذوق الفطري المصقول بطول النظر في الشعر، ولقد كان الخلفاء أنفسهم هم عمد هذه المدرسة، فقد كان عبد الملك بن مروان شديد الحساسية للكلمة، يرى لها أثر الفعل، ومن هنا تذكر الروايات أنّه لما انتهى الأخطل في قصيدة له إلى قوله:

وقد نُصِرتَ أميرَ المؤمنين بنا لمّا أتاك ببطن الغوطة الخبرُ

قال عبد الملك: بل الله أيّدني.

وعندما قال جريرُ في عبد الملك:

هذا ابن عمي في دمشق خليفةٌ لو شئتُ ساقكُمُ إليَّ قطينًا

قال له عبد الملك: جعلتني شرطيًّا لك، أما لو قلت: لو شاء ساقكم إلي قطينا لَسُقتُهم إليك عن آخرهم.

وقد أراد عبد الملك أن يدفع جمهرة الشعراء إلى المديح بقيم الإسلام و معاني العقيدة، إدراكا منه لأهمّية هذه القيم عند رعيّته من المسلمين، فعندما أنشده عُبيد الله بن قيسِ الرقيات قوله:

يعتدلُ التّاج فوق مفرقهِ على جبين كأنّه الذهبُ

قال: تمدحني بما يُمدَحُ به الأعاجم، وتقول في مصعب:

إنّما مصعبٌ شهاب من اللّـ ـه تجلّت عن وجهه الظلماءُ

3_ مدرسة العراق:

كانت بيئة العراق بيئة علمية ثقافية، امتزجت فيها الأصول العربية والأصول الأجنبية و لذلك تأثرت هذه المدرسة بالمنهج العلمي الذي اعتمد فيه نقادها غالبا على قواعد النحو و أصول اللغة، يقيسون الأدب بمقاييسها، ويحاولون أن يُخضعوا الشعراء لها. وكان الشعر في هذه المدرسة يشابه الشعر الجاهلي في موضوعه و فحولته و أسلوبه، فالفخر بالأصول و العصبيات و الصراع بين الشعراء خلف لنا شعر النقائض، واحتذاء النمط الجاهلي خلف لنا نوعا من النقد يفاضل بين الشعراء، متّجها في الكثير من الأحيان إلى الاتجاه اللغوي بالاهتمام باللفظ من الوجهة الإعرابية ومن جهة الأوزان و القوافي، كما اهتمّ علماء هذه المدرسة بجوانب الصياغة و الصناعة و الثقافة، ومن أشهر نقاد هذه المدرسة: الحضرمي، أبو عمرو بن العلاء، حماد الراوية، خلف الأحمر، و الأصمعي، وأبو عبيدة، والمفضل الضبي. ومن أمثلة النقد في هذه المدرسة تخطئة أبي عمرو بن العلاء ابن قيس الرقيات في بيته:

تبكيكم أسماءُ معولةً وتقول ليلى وارزيئتيهِ

بقوله: كان ينبغي أن يقول: وارزيئتاه، كما تقول: واعمّاه، وأخيّاه.

4_ خصائص النقد في العصر الأموي:

1_ اتّسع نطاق النقد، وكثر وتنوع الخائضون فيه، من حكام، وولاة، وشعراء، وعلماء، ورجال دين، ونساء ناقدات.

2_ اهتم النقد الأموي بالوضوح و السهولة وبُنيَ على الذوق و الفطرة خاصة في بيئة الحجاز.

3_ اهتم النقد الأموي برسم ملامح وطرق بعض أغراض الشعر، فقد وضع نقاد الحجاز للغزل معانيه وصوره، واهتم نقاد الشام بالمدح، ودعوا إلى سلامة مطالع القصائد واختيار المعاني و الصور المناسبة لمقام الممدوح. واهتم نقاد العراق بالهجاء وركزوا على سلامة اللغة ودققوا في اختيار الألفاظ واهتموا بالمفاضلة و الموازنة بين الشعراء.

4_ تميّز نقد النحاة بأسس موضوعية وعلمية ولغوية تهدف في مجملها إلى توجيه الشعراء إلى القواعد السليمة لهذا الفن من القول .